

## فلسفة التاريخ عند كانط

### من الفهم المتعالي إلى الفهم المحايث

#### ملخص

إن التاريخ بالنسبة لكانط هو ذلك الحقل الذي تمكننا دراسته من استشراف غد أفضل لحياة إنسانية عادلة تلازمها القيم الإنسانية الفاضلة كالعدل والحرية والسلام الأبدي، بحيث تتعلم الإنسانية فن العيش معا -بما هي ذوات إنسانية- على وجه المعمورة، وخلق فضاء عمومي قائم على مبدأ العمومية بوصفه شرطا لكل علاقة مع الآخر باعتبار الإنسان كائنا عاقلا خاضعا لقوانين العقل، لقد شددت فلسفة التاريخ عند كانط وفق أسئلتها النقدية على فكرتي المعقولية والغائية وجعلتهما تستقطبان كل الأسئلة المستعصية على الفهم التاريخي بمعناه الضيق أو بمفهومه الفلسفي التأملي الواسع. ذلك أن السؤال الذي يطرحه كانط ويدفعنا نحن أيضا- للتساؤل معه: هل من الممكن استنتاج توجه عقلائي لمستقبل البشر؟ وما هي دلالات هذا التوجه؟ كيف يقوم كانط بترتيب ملف التاريخ وزحزحة معناه من الفهم الثيولوجي إلى الفهم الإنساني؟ وأخيرا كيف يمكن لنا اليوم- وفق تفاعلية كانط- من مزيد من الثقة في الإنسان نحو بناء عالم أفضل وأسمى مما كان عليه؟ كيف يكون مسعى السلام العالمي ضامنا لمستقبل أفضل وفق أي أهداف وأي رؤى وتطلعات؟

أ. بلكيف سمير

كلية العلوم الاجتماعية  
والإنسانية، جامعة خنشلة

#### Résumé

#### Philosophie de l'histoire de Kant: de la compréhension transcendante à la compréhension immanente

L'histoire de Kant est le champ qui nous permet de l'étudier et de prévoir un avenir meilleur et juste pour la vie humaine hanté par des valeurs humains vertueux comme la justice, la liberté et la paix éternelle, afin d'apprendre à l'humanité l'art de vivre ensemble, en tant qu'êtres humains - sur la planète, et pour la création d'un espace public basé sur le principe public comme une condition de chaque relation avec l'autrui en tant qu'être humain personne

raisonnable soumis aux lois du travail de l'esprit, dont la philosophie de l'histoire de Kant à souligné en conformité ses questions critiques sur les notions de rationalité et de la finalité et les fait attirer toutes les questions qui échappe à la compréhension historique à son sens court ou bien au sens large et étroite de la philosophie contemplative, de sorte que la question posée par Kant nous pousse aussi pour lui demander: Est-il possible de conclure une approche rationnelle de l'avenir des êtres humains? Quelles sont les implications de cette tendance? Comment Kant à pu ordre l'histoire et de le reléguant la compréhension théologique de sa signification à la compréhension de humaniste? Enfin, comment pouvons-nous aujourd'hui –selon la vision optimiste de Kant et d'une plus grande confiance en l'être humain vers la construction d'un monde meilleur et un plus élevé qu'il ne l'était? Comment être un garant de l'effort de paix dans le monde pour un avenir meilleur en conformité avec les objectifs de tout et de toutes visions et aspirations?

## مقدمة

يعدّ القرن الثامن عشر قرنا متميزا بوصفه أفرز وعيا فلسفيا عميقا بالمعرفة التاريخية، وبدوره أعطى مفهوما جديدا للزمان بحيث سيكون عاملا للتقدم والتطور، وفي هذا السياق يتحدد توجه نقدي مع كانط في فلسفة التاريخ مرتبط أكثر بالاشتغال فيما وراء المقولات التاريخية؛ من أجل تجاوزها نحو إشعاعية كونية-على حدّ تعبير ميشال فوكو- بحيث تختزل كل المنظومات الواقعية والأحداث التاريخية إلى حدود لانهائية وهو الشيء الذي يعكس هاجسا فلسفيا عند كانط، وهو تفسير التاريخ من وجهة نظر كونية، وهذا ما تعكسه دلالة عنوان كتابه الموسوم بـ " فكرة لتاريخ كوني من وجهة نظر كوسموسياسية".

إن التاريخ بالنسبة لكانط هو ذلك الحقل الذي تمكننا دراسته من استشراف غد أفضل لحياة إنسانية عادلة تلازمها القيم الإنسانية الفاضلة كالعدل والحرية والسلام الأبدي، بحيث تتعلم الإنسانية فن العيش معا -بما هي ذوات إنسانية- على وجه المعمورة، وخلق فضاء عمومي قائم على مبدأ العمومية بوصفه شرطا لكل علاقة مع الآخر باعتبار الإنسان كائنا عاقلا خاضعا لقوانين العقل.

تهدف الدراسة الفلسفية التاريخية عند كانط إلى بلورة المفهوم التقدمي التفاؤلي لمستقبل البشرية مع مزيد من الثقة في قدرة الإنسان على توجيه التاريخ وجهة أخلاقية تمكننا من الانخراط في مواطنة عالمية، وذلك من أجل التخفيف من وطأة الانتماء ومن ثقل الذاكرة التاريخية.

لقد شددت فلسفة التاريخ عند كانط وفق أسئلتها النقدية على فكريتي المعقولة والغائية وجعلتهما تستقطبان كل الأسئلة المستعصية على الفهم التاريخي بمعناه الضيق أو بمفهومه الفلسفي التأملي الواسع، ذلك أن السؤال الذي يطرحه كانط ويدفعنا -نحن أيضا- للتساؤل معه: هل من الممكن استنتاج توجه عقلائي لمستقبل البشر؟ وما هي دلالات هذا التوجه؟ ثم كيف يمكن فهم حركية التاريخ وكيف يمكن تفسيرها؟ كيف يمكن الكشف عن هذا التوجه العقلائي-الغائي لحركية التاريخ؟ وفق أي متغيرات وأي ثوابت؟ كيف يقوم كانط بترتيب ملف التاريخ وزحزحة معناه من الفهم الثيولوجي إلى

الفهم الإنساني؟ وبتعبير آخر كيف يجعل كانط في بنائه لحركية التاريخ يعتمد في جزء كبير منه على إرادة البشر وأخلاقيات الكائن العاقل؟ وأخيرا كيف يمكن لنا اليوم -وفق تفاعلية كانط- من مزيد من الثقة في الإنسان نحو بناء عالم أفضل وأسمى مما كان عليه؟ كيف يكون مسعى السلام العالمي ضامنا لمستقبل أفضل وفق أي أهداف وأي رؤى وتطلعات؟

## أولا- التاريخ من جدل الطبيعة إلى جهد الإنسان

### 1. لا بد من الثقة في الإنسان أو نحو نزعة إنسانية متفائلة

إن نظرة عامة على الإنسانية وحياتها (السياسية، الاقتصادية، الخلقية) تجعلنا نعتقد أن خلاص الإنسان لا يتحقق إلا بالجهد الإنساني وحده، وأن قوام الإنسانية يعتمد على إدراك الإنسان أن المشكلة الفلسفية تخصّ كائنات بشرية تبذل غاية جهدها لتفهم عالم التجربة الإنسانية بالاعتماد على أدوات إنسانية، كما يعتمد من الناحية الأخلاقية، على اهتمام الإنسان بما يدخل في نطاقه من صفات وفضائل وأعمال<sup>(1)</sup>، إن النزعة الإنسانية تجعل من تحقيق الذات الإنسانية هدفا نهائيا للسلوك الأخلاقي والاجتماعي<sup>(2)</sup>؛ أي النزوع نحو الإيمان بقيمة الذات الإنسانية<sup>(\*)</sup>، وهو نزوع ظهر عند الجيل الأول من التنوير الراديكالي بحيث تجلّى في بناء مفهوم يتراوح بين التأكيد على تناهي الإنسان وعلى فعاليته باعتباره المركز الجديد بعد أن ابتعدت الآلهة عن العالم -في نظر بعض الفلاسفة- وبعد أن دفعته دفعة أولى أعطته الحركة والحياة<sup>(3)</sup>.

(1) مراد وهبة، يوسف كرم، يوسف شلالة، المعجم الفلسفي (عربي، انجليزي، فرنسي)، مرجع سابق، ص31.

(2) عبده الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص96.

(\*) إن هذه الثقة بالإنسان والعقل قد أفضت إلى الإيمان بالتقدم، وهو ما سماه المؤرخون "عقيدة التنوير" الأساسية وقد تمثلت هذه القيمة عند أصحاب التنوير المعتدل في فكرة "الخروج من القصور إلى الرشد المعرفي والحقوق" حسب العبارة الكانطية. صالح مصباح، التنوير الكلاسيكي في تنوعه وتاريخيته راديكاليا ومعتدلا ومضادا، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، عدد38-39، 2004-2005، ص82.

(3) المرجع نفسه، ص ص73-74.

إن الواجب علينا -حسب كانط- هو تنمية المشاعر الإنسانية تجاه الآخرين ثم المشاعر العالمية، إذ أنه يوجد في نفوسنا شيء يجعلنا نغير اهتمامنا لذواتنا<sup>(1)</sup>، لكن بالقدر نفسه فالذات تتطلع نحو الإنسانية جمعاء -كغاية في حد ذاتها- ذلك أن الإنسانية ليست مسؤولة عن الصورة التي يمكن أن نشكلها لأنفسنا فحسب بل هي فتح لإمكانات جديدة في هذا العالم، ولذلك كان "فولتير" يسأل في مؤلفه "حوارات فلسفية": "ما الشيء الذي تصفونه بالعدل والذي تصفونه بعكس ذلك؟" وكان يجيب بعد ذلك: "هو عندي ما يبدو على تلك الصفة لدى جميع سكان العالم"<sup>(2)</sup>، وهذا ما يعكس مدى تقارب البشر لا عن طريق العرق وإنما عن طريق البعد الإنساني الذي يكمن في كل ذات، لذا كان لزاما علينا: "تنمية الاستعدادات الطبيعية -ما دامت هناك الكثير من البذور الإنسانية- تنمية متوازنة، ونطور الإنسانية ابتداء من مبادئ نموها ونعمل على أن يدرك الإنسان غايته"<sup>(3)</sup>.

إن كانط يبيّن أن البعد الإنساني -التواصل- تحمله كل ذات بالقوة، خاصة وأن الإنسانية تتقدم نحو الأفضل والأرقى: "لذلك ينبغي أن يكون ذلك ماثلا على الدوام في أذهان المسؤولين عن المخططات التربوية بحيث يجب ألا يربي الأطفال فقط حسب حالة النوع البشري الراهن، بل بحسب الحالة الممكنة التي تكون أفضل منها في المستقبل؛ أي وفق فكرة الإنسانية وغايتها الكاملة"<sup>(4)</sup>.

هكذا تُوكَل مهمة تنمية الإنسانية إلى المرين من أجل بلوغ الكمال؛ أي تجسيد البعد الإنساني على مستوى الواقع والتاريخ، فتصبح الإنسانية جمعاء تتقدم وفق تاريخ كوني، بحيث تنتصر فيه القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية ما يسمح بإمكانية تحقيق مستقبل أفضل بدا يلوح في الأفق، وهو ما يعكس مسارا للتقدم نحو الأحسن والأرقى.

(1) إيمانويل كانط، تأملات في التربية، ما الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟ مصدر سابق، ص 81.

(2) ترفيتان تودوروف، روح الأنوار، مرجع سابق، ص 131.

(3) إيمانويل كانط، تأملات في التربية، ما الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟ مصدر سابق، ص 16.

(4) المصدر نفسه، ص 05.

## 2. إرادة البشر، من أجل غائية عقلانية في التاريخ

إذا كان العصر الوسيط اعتبر كل زمانية ابتعادا عن الأصل وانحرافا عن نموذج الكمال، ورأى فيها نوعا من التردّي والسقوط والتدني، فإن القرن الثامن عشر سيرى فيها عنصرا مكوّنا للتقدم، وسيعتبر مفكروه الحاضر -حاضرهم- فاصلا وواصلًا، وصل في آن معا بين ماض متخلف ومستقبل أفضل<sup>(1)</sup>، إذ يصبح التاريخ الحقيقي في منظور القرن الثامن عشر هو التاريخ الذي ينجح في الإمساك بجيوط التقدم؛ أي الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة، وهو ما يبرز الفضول التاريخي الذي طبع القرن الثامن عشر والمتمثل في حب معرفة كل ما هو غريب ومخالف<sup>(2)</sup>.

إن التاريخ كنسق معرفي قائم بذاته له موضوعاته ومناهجه ومفاهيمه ضمن النسق الفلسفي، ينطلق من المحددات والأسس المرجعية لفلسفة التاريخ، وهو ما يجعل من الضروري تحديد المجال المعرفي لنظام التاريخ ومحايثته للفلسفة في شكل بنية معرفية تعمل على بلورة صورة الوعي التاريخي<sup>(3)</sup> بما هو وعي تحركه النزعة الإنسانية المتفائلة<sup>(\*)</sup> التي تعمل على تجسيد التاريخ الشامل للبشرية؛ أي التاريخ الكوني، ذلك التاريخ الشامل الذي كان موضوعا محببا لمفكري القرن الثامن عشر، أو تاريخ الحضارة ومجموع التجربة الإنسانية من حيث هي تجربة تاريخية على محكها يفترق ويتباين البشر<sup>(4)</sup>.

(1) سالم يفوت، الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1991، ص07.

(2) المرجع نفسه، ص ص19-20.

(3) بن مزيان بن شرقي، التاريخ وكونية الاختلاف، من أجل فلسفة أخرى للتاريخ من منظور كوني، مرجع سابق، ص29.

(\*) إن عظمة الإنسان تتجلى في فرض نظام وقيم إنسانية على عالم لا غاية له ولا هدف فيه -على حد تعبير لافيني- في قصيدته "بيت الراعي": «لقد بدد الراعي الظلمات وأثار بيته بنفسه، لأنه أعظم من الكون محط حكمه، أعظم من الكون الذي يجهل وجوده». فرانسوا غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، مرجع سابق، ص14.

(4) سالم يفوت، الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، مرجع سابق، ص19.

إذا كنا نستطيع أن نعزو إلى الإنسان إرادة خيرة بالفطرة فإنه يمكن أن نتنبأ يقينا بتقدم النوع الإنساني نحو الأحسن؛ أي أنه ينبغي أن نربط التاريخ التنبؤي للإنسانية بنوع من التجربة التي تكشف في النوع الإنساني عن استعداد يكون علة للتقدم نحو الأحسن<sup>(1)</sup>، ذلك أنه في الكون نية خفية وغاية يشارك فيها الإنسان ربما بغير علمه، وكما يقول "هوغو" في "الأشعة والضلال": "لا تخشى شيئاً أيها الإنسان فالطبيعة تعرف السر الكبير وتبتسم"<sup>(2)</sup>، إن رأياً كهذا يجد مسوغه في فلسفة غائية للتاريخ تنساق وراء اكتشاف نشاطه التركيبي استناداً إلى وجهة نظر عن مساره ككل، وتربط الأحداث برباط واحد وتميط اللثام عن خيط خفي يقبع خلف كل الصور والأحداث<sup>(3)</sup>، لكن كانط يعلمنا أن بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون مسافة على الإنسان أن يقطعها، من أجل تحقيق التناسق المأمول بين مملكة الطبيعة ومملكة الحرية، فالعالم لن يكون أحسن العوالم الممكنة إلا بإرادة البشر وجهدهم للتقدم الأخلاقي نحو مملكة الخير الأسمى، ويبدو أن الإله لا يصلح في كل ذلك عند كانط -بعبارة يوفال- إلا بوصفه ضماناً أنطولوجية لقدرة الإنسان على تحمل مهمته التاريخية<sup>(4)</sup>.

إن الوظيفة المعمارية والنقدية لفكرة التقدم تجعل منها الخيط الهادي لاتساق ممكن لفكرة التاريخ، وهو ذلك الخيط الهادي الذي كشف عنه كانط في نص: "فكرة لتاريخ كوني من وجهة كوسموسياسية" الذي يبلور وجهة نظر فلسفية حول التاريخ تمكّن من فهمه وفق معقولة متميزة عن معقولة الطبيعة القائمة على الحتمية، إذ لا يطمح كانط إلى تأسيس علم للتاريخ يجعل من التقدم نتيجة لقوانينه ومن التنبؤ دوره الأساسي، وإنما يريد أن يقدم فكرة تصلح لفهم عقلاني للتاريخ يجعل التقدم مقتضى وغاية وليس نتيجة

(1) عبد الرحمن بدوي، فلسفة التاريخ عند كانط، مرجع سابق، ص 93.

(2) فرانسوا غريغوار، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، مرجع سابق، ص 14.

(3) سالم يفوت، الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، مرجع سابق، ص 09.

(4) أم الزين بنشخة-المسكيني، كانط راهناً أو الإنسان في حدود مجرد العقل، مرجع سابق، ص 94-

حتمية<sup>(1)</sup>.

إن التقدم ليس فقط على المستوى المادي والفكري الذي يمكن ملاحظته بسهولة، بل على المستوى الأخلاقي كذلك، ذلك أن الإيمان بوجهة للتاريخ وبتقدمه واجب، وكما أكد كانط في الجزء الثالث من النظرية والتطبيق، فإن النوع الإنساني ليس كما يعتقد "مدلسون" "Mendelssohn" في تقدم مستمر من جهة الثقافة فقط، بل هو يتطور نحو الأفضل من حيث الغاية النهائية لوجوده، وهذا التطور يمكن -دون شك- أن ينقطع أحيانا ولكن لا يمكن أبدا أن يتوقف، ثمّة إذن حكمة عليا تتحكم في مسار الأشياء من أعلى إلى أسفل من غير أن تفقد الأمل في الطبيعة الإنسانية<sup>(2)</sup>، ذلك أن كل الاستعدادات الطبيعية لكائن ما قد هيأت على نحو من شأنه أن تتحقق كاملة ذات يوم وفقا للغرض المنشود، ولقد أقام كانط هذه القضية على فكرة الغائية في الطبيعة ومؤداها أن كل عضو في الطبيعة قد هُيئ لأداء وظيفة، والإنسان عضو في الطبيعة فهو مهياً إذن لأداء وظيفة وإلا كانت الطبيعة عابثة وكانت الصدفة هي المتحكمة في أمور الكون<sup>(3)</sup>.

### 3. التقدم\* نحو تاريخ أحسن وأرقى

إن التقدم الفعلي هو تقدم النوع البشري نحو قسديته العقلانية والأخلاقية<sup>(\*\*)</sup>؛ أي

(1) منير الكشوش، التاريخ والتقدم عند كانط، مرجع سابق، ص ص24-25.

(2) أنري دوترني، فلسفة القانون الكانطية، مجلة أيس، عدد01، جوان 2005، ص51.

(3) Emmanuel Kant, Idée d'une histoire universelle au point de vue cosmopolitique. op, cit, p 24.

\* يطرح كانط فكرة أساسية مفادها أن النوع الإنساني يسير في تقدم نحو الأفضل، وهي المسألة التي طرحها المعتزلة من قبل وكان بينهم وبين الأشاعرة خلاف عليها، وتمثلت في موضوع "الصلاح والأصلح" الذي أكدته المعتزلة ونفته الأشاعرة، وهي المسألة نفسها التي طرحها "لايبنتز" قبل كانط في موضوع "أفضل العوالم الممكنة". حسن حنفي، الصراع بين الكليات الجامعية عند كانط، أوراق فلسفية، عدد11، 2004، ص150.

\*\* إن موضوع هذا التقدم كان خلاصة ذلك النداء الذي وجهه "فيكو" في كتابه "مبادئ علم جديد" و"كوندرسيه" في كتابه "لوحة تاريخية لتقدم العقل البشري" داعيين إلى تحرير الكائن البشري من كل ما =

نحو وضع يكون فيه الإنسان البداية المطلقة والعلة الأولى لأفعاله ومواقفه وأفكاره، وهو وضع لا يمكن أن يكون له أي مثيل في الحاضر أو في أي زمن، وإنما يظل غاية ينشدها التاريخ الإنساني وينجذب نحوها، ولا تمثل أحداث الحاضر إلاّ علاقات أو مؤثرات دون أن يكون الإنجاز والتحقيق الفعلي لذلك التقدم ووفقا لهذه الوجهة التبولوجية يكون تقدم الجنس البشري نحو قصديته العقلانية معيارا ننظم من خلاله أحداث الماضي، فنحكم عليها ونشتمن ما يجري في الحاضر دون أن يصبح الحاضر تنويجا لسياق أو مسار التاريخ<sup>(1)</sup>.

إن كانظ يثق في الإنسان ثقة مطلقة تجعله يوكله مهمة إيصال العالم إلى غاية نهائية ألا وهي تحقيق كونية حقوقية يسجلها التاريخ على مستوى الواقع في تقدمه المستمر، حيث يقول في هذا الصدد: "نعم إني أؤكد دون أن أكون نيبا ما أستطيع أن أتنبأ به للإنسان وفقا لإرهاصات هذا العصر أن هذه الغاية -وهي تحقق دولة مؤسسة على مبادئ الحق القانوني- تستحق وستكون استهلالا لتقدم مستمر بغير نكسة شاملة"<sup>(2)</sup>.

هذا، ولا يتوقف كانظ عند الحدود القانونية وميلاد الحق ليحصر التقدم في المعنى السياسي؛ أي ميلاد الدولة والمجتمع المدني الذي يحتكم إلى سلطة القانون (القوانين السياسية)، وإنما يجعل التقدم مهمة ومقتضى عقلانيا لا يجد في الواقع تجسيدا له، ويظل التباعد بين الواقع والمثال مفارقة تحكم باستمرار فكرة التقدم، ذلك أن الحديث عن التقدم هنا هو حديث عن المسافة الفاصلة بين مثال نتطلع إليه وواقع لا يتضمنه قبلها، ما يحول دون أي تماه بين العقل والواقع وبين التقدم والتاريخ، ووفقا لهذه الوجهة لا يكون التاريخ تطورا تدريجيا نحو الحاضر؛ أي نحو ما هو قائم أو ما تم إنجازه، ذلك أن كانظ لا يستنتج التقدم من التاريخ، وإنما التقدم فكرة معيارية يتجه نحوها

= يشده إلى الطبيعة مركزين على أن العقل هو العامل الأساسي في كل فهم. بن مزيان شرقي، التاريخ وكونية الاختلاف، مرجع سابق، ص 10-11.

<sup>(1)</sup> منير الكشو، التاريخ والتقدم عند كانظ، مرجع سابق، ص 24.

<sup>(2)</sup> عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، ص 203.



التاريخ، وهذا ما يبرز في ارتباط التيولوجيا الطبيعية بالتيولوجيا الأخلاقية<sup>(1)</sup>. من الواضح أن تصور كانط للتاريخ باعتباره مسرحاً للصدام والصراع هو الذي جعله يعزو التقدم نحو الأفضل إلى العقل، ليصبح بذلك التقدم معطى قبلياً لا يستمد من تجارب الأمم، والحديث عن العقل هو حديث عن قدرة الإنسان في تجاوز واقعه المزري-المؤلم إلى واقع يكون فيه أفضل على نحو شامل وأبدي: "فلا بد أن تتحقق في الإنسان بوصفه الكائن العاقل الوحيد على ظهر البسيطة تلك الاستعدادات الطبيعية التي تهدف إلى استخدام العقل، بحيث تتحقق كاملة في النوع ولا في الفرد"<sup>(2)</sup>. بالرغم أن كانط يؤكد على أن نقد الحكم التاريخي لا يستمد أصالته من مجرد التحول إلى الماضي من حيث يجب أن يكون معياراً في توجهنا إلى المستقبل أيضاً، ومن حيث يجب أن نسهم في تأهيلنا لمواجهة المستقبل بشكل إيجابي فعال بدلاً من النظر إليه كمجرد مصدر للكشف<sup>(3)</sup>، إلا أنه من جهة أخرى يؤكد على أن الطبيعة أرادت أن ينتج المرء بنفسه ومن نفسه كل ما يتجاوز نطاق التنظيم الآلي للحياة الحيوانية وألا يشارك في أية سعادة أو كمال آخر غير ذلك الذي أوجبه لنفسه بعقله<sup>(4)</sup>، ويختتم كانط هذا العرض للبداية المفترضة للتاريخ الإنساني بالعبارة التالية الحافلة بالدلالة: "وهكذا فإن حاصل أقدم تاريخ للإنسانية قامت الفلسفة ببحثه هو الرضا بالعناية وبسير الأمور في مجموعها وهو سير لا يمضي من الخير إلى الشر بل من الأسوأ إلى الأحسن تدريجياً، وكل منا مدعو إلى أن يسهم -بقدر ما يستطيع- في هذا التقدم دعوة صادرة عن الطبيعة نفسها"<sup>(5)</sup>، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الأسوأ هو الشر

(1) منير الكشوش، التاريخ والتقدم عند كانط، مرجع سابق، ص32.

(2) Emmanuel Kant, *Idée d'une histoire universelle, au point de vue cosmopolitique*, op. cit, p 24 .

(3) رودلف ماكربيل، كانط ودلتاي وفكرة نقد الحكم التاريخي، ترجمة، أحمد عبد المجيد، أوراق فلسفية، عدد11، 2004، ص179.

(4) Emmanuel Kant, *Idée d'une histoire universelle, au point de vue cosmopolitique*, op. cit, pp 24-25.

(5) عبد الرحمن بدوي، فلسفة التاريخ عند كانط، مرجع سابق، ص104.

والأحسن هو الخير، ويغدو بذلك التقدم -على المستوى القيمي- يشير إلى تغلب قوى الخير في العالم الناتج عن انتصار المثل الإنسانية والمبادئ الأخلاقية، الشيء الذي يجعلنا نتساءل عن حقيقة وطبيعة هذا التفوق لما هو أخلاقي-إنساني، فكيف ينتقل الوعي التاريخي من جدل الطبيعة إلى جدل الإنسان؟ أو بتعبير آخر كيف يتغلغل البعد الإنساني بما هو بعد أخلاقي في بناء حركية التاريخ؟ وكيف يحدث أن تنتصر في النهاية المبادئ الأخلاقية وقوى الخير في العالم؟

## ثانيا- من الثيولوجيا الطبيعية إلى الثيولوجيا الأخلاقية أو نحو انتصار المثل الأخلاقية

إن البحث في التاريخ الإنساني ليس في الحقيقة بحثا عن الماضي من أجل الماضي وإنما من أجل المستقبل؛ أي تاريخ ينبتنا بنتائج المستقبلية، بأن تكون هناك نوعية جديدة للبشر، وتاريخ أخلاقي يحمل في تضاعفه المبادئ الأخلاقية والمثل الإنسانية<sup>(1)</sup>، وكانظ -وفق فلسفته النقدية- يعرض منظورا تركيبيا لما هو واقعي ومثالي في الوقت نفسه، ذلك أن العقل البشري له القدرة على تصور ما هو أخلاقي، الأمر الذي يعكس الثقة في الإنسان والأمل فيه باعتباره مسؤولا عن الجنس البشري<sup>(2)</sup>، وهذه المسؤولية الممزوجة بالوعي والبعد التاريخيين من شأنها أن تجعل الانتصار لصالح المثل الأخلاقية وقوى الخير في العالم.

### 1. البعد الأخلاقي محركا لمستقبل أفضل

إن تحقيق المتعة والرخاء -حسب كانظ- لا يمثل التقدم وإنما الاتجاه المتواصل والتوتر القائم والدائم لإرادة لا تجد اكتمالها إلا في البعد الأخلاقي الذي تطلبه؛ أي الخير الأسمى، ويمكن تصور التقدم على هذا النحو من أجل التصدي لكل الانحرافات في فهم الأخلاقية سواء أكانت تجريبية (سيادة مبدأ اللذة) أو كانت صوفية (القداسة

(1) Emmanuel Kant, le conflit des facultés, traduit par, j. gibelin, librairie philosophique j. vrin, paris, 1988, pp 93-94.

(2) Emmanuel Kant, leçons sur la théorie philosophique de la religion, Op. cit., p 316.

أو صورة الحكيم الرواقي)، كما يمكن أيضا من تقويض التصورات التي تؤكد أسبقية النظرية في كل تحليل للفعل الإنساني، وهي تصورات يلمس كانط أثرها في النزعة العقلية المتفائلة التي تقيم الفعل على المعرفة النظرية أو في النزعة الربية-التجريبية التي تجعل من الخير والسعادة والمنفعة غايات الفعل الإنساني<sup>(1)</sup>، ذلك أن المكسب الذي يحصل عليه النوع الإنساني من التقدم نحو الأفضل ليس زيادة الكمية في إخلاص النية والقصد؛ أي زيادة النوايا الطيبة، بل زيادة آثارها المشروعة في الأفعال طبقا للواجب؛ أي زيادة الأفعال الخيرة للبشر وقوة الخير في العالم، وذلك في صورة عنف أقل وليونة أكثر مع سيادة القانون وسيادة قيم الشرف والوفاء<sup>(2)</sup>، ذلك أن الطبيعة: "تريد بصورة لا تقاوم أن يكون النصر أخيرا للحق، بالرغم من أن البشر قد يبدوون عكس ذلك، إلا أنه في نهاية المطاف ستنتصر المثل الأخلاقية والقوى الخيرة"<sup>(3)</sup>.

هكذا يكون الحاضر أفضل من الماضي والمستقبل أفضل من الحاضر، وتنعكس هذه الأفضلية الزمانية على مستوى الواقع، بحيث تستطيع الإنسانية بلوغ -ولو بالقدر القليل- مستوى النضج السياسي والأخلاقي بحيث تظهر الدساتير والقوانين التي من شأنها تعزيز الكرامة والبعد الإنساني والتي تحفظ حرية الفرد، وذلك أن تصور الحق (القانون)، الذي هو الشرط اللازم لتعايش الحريات الفردية وهو أيضا عماد لتصور الدولة من حيث أن غرضها ليس هو إرشاد الناس إلى السعادة بل كفالة النظام لكي يتيسر للإنسانية أن تتقدم نحو الأحسن والأفضل حتى يصبح مخطط النمو والتقدم الذي يسير فيه التاريخ الإنساني، إنما هو تعبير عن المثل الأعلى للحرية<sup>(4)</sup>، فالطبيعة والحرية: "إن اجتماعنا في فكر الإنسان بحسب مبادئ الحق الكامنة فيه تصبجان وحدهما القادرتين على تقرير هذا الأمر (التقدم) حتى وإن لم يكن ذلك إلا في صيغة غير محددة

(1) منير الكشوش، التاريخ والتقدم عند كانط، مرجع سابق، ص 26.

(2) حسن حنفي، الصراع بين الكليات الجامعية عند كانط، مرجع سابق، ص 153.

(3) إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، مصدر سابق، ص 67.

(4) عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 127.

وكحدث عارض<sup>(1)</sup>. وإذا كان الحل الأمثل والكامل -حسب أفلاطون- لأي دستور أو لقوانين تامة وعادلة ذات صلاحية مطلقة يبدو مستحيلا على مستوى الواقع<sup>(2)</sup> فإن كانط كان أكثر جرأة من أفلاطون فهو لم يعمل على تأجيل سعادة البشر إلى ما وراء العوالم، وإنما حاول تجسيدها في عالمهم الواقعي، هي السعادة التي لا يمكن أن تكون شيئا آخر سوى بلوغ سلام أبدي<sup>(3)</sup>.

## 2. البعد الحقوقي-السياسي مستشرفا لعالم أفضل

إن الإيمان بالتقدم، سواء من ناحية تاريخ كوني أحسن وأرقى، أو من ناحية انتصار المثل الأخلاقية وقوى الخير في العالم، لا ينتج إلا من ظهور شرعي لفكرة الحق، فقد شهد المجتمع حادثة من هذا النوع هي الثورة الفرنسية (1789)، إلا أن كانط يدين تطرفها رغم أنها -حسب كانط- أيقظت في روح الشعوب حماسا خالصا وتفاؤلا بقرب سيادة القانون وسعادة البشر، وبالتالي استئصال النزعة العسكرية ونزع السلاح وإيقاف الحروب، هذه الأخيرة التي تعد أكبر مانع أمام التقدم الخلقى، وإذا كانت الحرب هي النتيجة الطبيعية للتعصب والقهر والسيطرة فإن هدف كانط هو أخذ الإنسانية إلى غايتها النهائية وهي تحقيق سلام كوني<sup>(\*\*)</sup>-أبدي<sup>(3)</sup>، وهو سلام يعد بمثابة

(1) ميشال فوكو، كانط والثورة، مرجع سابق، ص15.

(2) منير الكشوش، التاريخ والتقدم عند كانط، مرجع سابق، ص21.

(\*) ما من أمل ينشده الإنسان في عالمنا وزماننا ويتوق إليه بشغف يفوق ما يتوق إليه في سلام أبدي، وهو سلام من شأنه أن يحرر مستقبل الإنسانية من عنائها الأكبر الناجم عن التطور السريع الذي أحرزته صناعة الأسلحة الفتاكة فغدت تهدد الوجود البشري على الإطلاق. إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، من كلمة التمهيد أنطوان هنين، ص11.

(\*\*) لقد كان "لاينتر" -في نظر كانط- قاسيا حينما كتب يقول: «لكن أي سلام دائم يمكن أن نقيمه بين أناس يسمحون بشكل عمومي بقواعد مضادة لإطلاقا لكل مشاريع السلام فلم يعد هناك أي حق بين البشر ولا أي عقيدة، ولا أي سلم دائم يمكن أن نتمناه، ليس هذا سوى تصنعا ولهو غير مجد لحشد من السذج". أم الزين بنشيخة، كانط في فضاء هابرماس أو كيف الكلام على السلم الدائم، أوراق فلسفية، عدد11، 2004، ص ص208-209.

(3) حسن حنفي، الصراع بين الكليات الجامعية عند كانط، مرجع سابق، ص ص124-125.

ثمرة للنهج القانوني وانتقال تدريجي من الحالة الطبيعية إلى الحالة القانونية على صعيد الدولة الداخلي أولاً ثم على صعيد العلاقات بين الدول<sup>(1)</sup>، فالسلام -فيما يقول كانط-: "الذي ينبغي أن يعقب ما يسمى خطأ حتى الآن بمعاهدات الصلح (وهي في الحقيقة اتفاقيات هدنة) ليس فكرة جوفاء، إنما هو مهمة تتحقق رويدا رويدا وتقترب من غايتها بخطى واثقة مستمرة ولا بد من الأمل بأن الفترات الزمنية التي تستغرقها هذه الخطوات الصاعدة باتجاه السلام الدائم تتسارع أكثر فأكثر"<sup>(2)</sup>.

### 3. تجربة السلام العالمي انتصار للمثل الأخلاقية

ما الذي يجعل من مطلب السلام مطلباً إنسانياً ملحاً؟ وإلى من يتوجه هذا الرجاء (سلام كوني) أو ذلك النداء سواء كان سخرية أم هجاء؟ هل يتوجه إلى الناس بعامّة أم إلى السياسة بخاصة أم هو قول خاص بالفلاسفة؟ والحقيقة أن كانط لم يحسم هذه المسألة ضمن مقال سنة (1796) إلا أننا نعثر لديه على إجابة شافية عمن يكون مسؤولاً على السلام الكوني في أحد هوامش كتاب "نزاع الكليات" (1798) في تعليقه عن يوطوبيات الفلاسفة. لقد تم إخراج "أطلنطا أفلاطون" و"يوطوبيا مور"، و"أقيانوس هارينكتون"، و"سفير أنبيا آلاس"، إخراجاً مسرحياً، لكن لم يحدث أبداً القيام بمحاولات تحقيقها، ذلك أن أملنا وتفكيرنا في ظهور كيان سياسي فاضل مهما كان الأمر متأخراً مثلما نفكر بذلك هو حلم عذب، ومع ذلك أن تقترب من ذلك أكثر فأكثر ليس فقط أمراً قابلاً للتفكير من جهة أن ذلك يتطابق مع القانون الأخلاقي<sup>(\*)</sup> وإنما هو واجب، لكنه لا يخص المواطنين فحسب بل يخص قادة الدول، وكانط يحدد للفلاسفة ما لهم وللحكمة ما عليهم<sup>(\*\*)</sup>، فللفلاسفة حق التفكير في السلام الكوني،

(1) إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، مصدر سابق، ص 15.

(2) إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، مصدر سابق، ص 99.

(\*) إن ما يجعل كانط يؤسس للسلام الكوني -الأبدي هو تقدم التاريخ نحو الأفضل والأحسن، ولكن ليس كباقي الفلاسفة الذين ينظرون إليه كحتمية وإنما لأن كانط يربط هذا التقدم التاريخي بالتقدم الأخلاقي.

(\*\*) لا ينساق كانط مع أفلاطون في دعوة هذا الأخير إلى أن يكون الفلاسفة حكاماً، أو الحكام فلاسفة، =

وعلى قادة الدول واجب العمل على الاقتراب منه أكثر فأكثر<sup>(1)</sup>. لكن السؤال الذي يمكن طرحه في هذا السياق هو: ما هي دوافع هذا التفاؤل النسبي؟ أو بتعبير آخر: ما هي الآليات التي تمكننا من تحقيق سلام كوني وأبدي أو على الأقل التمهيد له؟ إن ميثاق السلام العالمي لا يؤلف جزءاً من نظرية الحق فقط، بل هو الغاية النهائية بأسرها لنظرية الحق، ذلك أن حالة السلام هي الحالة الوحيدة التي فيها ما هو لي وما هو لك؛ أي حالة قانونية يسودها سلام ونظام، وهذا الأخير لا يمكن أن يُستمد من تجربة أولئك الذين رضوا به حتى ذلك الحين كمعيار لسائر الناس، بل يجب أن يُستنبط قبلياً بواسطة العقل من المثل الأعلى لتجمع قانوني للناس تحت قوانين عامة. والواقع أن كل الأمثلة لا تستطيع إلا أن توضح لا أن تثبت، ولكن كان من المستحيل للوهلة الأولى تحقيق فكرة السلام الكوني، فإنه من الممكن التأدي إليها بإصلاح غير مشعور به يتم تبعاً لمبادئ راسخة تقودنا دائماً إلى هذا الخير الأسمى في ميدان السياسة، ونعني به السلام الدائم بين جميع الدول والشعوب في هذا العالم<sup>(2)</sup>.

إن أول ما يشترطه كانط - في سبيل تحقيق سلام - هو ضرورة تجاوز المعاهدات والاتفاقيات التي تعقد بين الدول، والتي يصطلح على تسميتها معاهدات السلام، ذلك أن هذه الاتفاقيات ما هي إلا مجرد هدنة - من أجل جمع قوة أكثر - لمباشرة الحرب من جديد: "لذلك ينبغي ألا تعتبر أية معاهدة صلح على أنها كذلك إذا ما كان أطرافها قد احتفظوا ضمناً للجوء إلى الحرب جديدة، لأن معاهدة من هذا النوع لن تكون سوى مجرد هدنة وليست السلام الذي يعني انتهاء الأعمال العدائية كافة، ولا يمكن أن نضفي على هذا السلام المؤقت صفة الدائم (الكوني)"<sup>(3)</sup>.

= وكل ما يطلبه من الحكام ألا يكتموا أصوات الفلاسفة، بل يتكلمهم بيدون آراءهم بحرية، خصوصاً وأنه لا خطر على الحكام من الفلاسفة لأنهم لا يؤلفون أحزاباً ولا جمعيات ولا نوادي سياسية. عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، ص 246.

(1) أم الزين بنشيخة، كانط في فضاء هابرماس أو كيف الكلام على السلم الدائم، مرجع سابق، ص 411.

(2) عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، ص 201-202.

(3) إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، مصدر سابق، ص 30.

الخطوة الثانية نحو السلام الأبدي هي ضرورة الحفاظ على استقلالية كل دولة: "فلا يحق لأي دولة من الدول أن تتدخل بالقوة في دستور دولة أخرى ونظام حكمها"<sup>(1)</sup>؛ أي عدم تدخل أي دولة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى، لأن أكثر شروخ العالم وحروبها تبدأ بانتهاك دولة لحدود دولة أخرى: "فلا يسوغ لأي دولة مستقلة (كبرت أم صغرت، فهذا لا شأن له في هذا المجال) أن تستحوذ على دولة أخرى لا بالميراث ولا بالمبادلة ولا بالثراء ولا بالهبة، فالدولة ليست ميراثا (على غرار الأرض التي تقوم عليها)، إنما هي مجتمع بشري لا يجوز لأحد أن يتحكم فيه، ولا يحق لأحد أن يتصرف به ما لم يكن من هذا المجتمع بالذات"<sup>(2)</sup>. هذا، وينبغي كذلك تجنب الوسائل التي من شأنها أن تدفع الدول إلى الحرب، كإزالة الجيوش باعتبارها تعكس الاستعداد للحرب: "إنه يجب إذن -فيما يقول كانط- أن تزول الجيوش النظامية كليا مع الوقت، لأن ظهور هذه الجيوش الدائم على أهبة الاستعداد للقتال يجعلها تهدد الدولة الأخرى بالحرب تهديدا مستمرا ومن شأن هذا الواقع أن يدفع بكل دولة من الدول إلى محاربة الأخرى من حيث حشد الأعداد غير المحدودة من الفرق العسكرية". إن الحرب لا تعطل مشروع السلام الكوني فحسب، وإنما تجر الدولة إلى أزمات مالية عالمية بفعل النفقات العسكرية، لذلك: "لا يحق لأي دولة اعتماد الاقتراض لتمويل نزاعاتها الخارجية، فهذا النظام ابتكار بارع استحدثه شعب تاجر من شعوب هذا الجيل، ليضفي على المال قدرة خطيرة، وهذا التدبير يمثل ثروة واقفة على أهبة الاستعداد للحرب"<sup>(3)</sup>، ولعل الأكثر من ذلك -وفق تحليل كانط- أن العلاقات القائمة بين الدول تحتاج إلى ضرورة الحرص على تجنب كل ما من شأنه أن يلغي الثقة القائمة بين الدول، خاصة الدول المتنافسة: "فلا يحق لأي دولة في حالة حرب مع دولة أخرى أن تسمح لنفسها بأعمال عدائية من النوع الذي يجعل الثقة مستحيلة بينهما بعد استتباب السلام، ومن هذه الأعمال مثلا

(1) إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، مصدر سابق، ص34.

(2) المصدر نفسه، ص31.

(3) المصدر نفسه، ص ص32-33.

استخدام عناصر تقوم بالاغتيال أو التسميم أو انتهاك حقوق الاستسلام أو التحريض على الخيانة في الدول المحاربة" (1) (\*).

هذا، وإن طبيعة النظام السياسي هي كذلك آلية من شأنها أن تقرنا من تحقيق فعلي لسلام كوني-أبدي، لكن السؤال الذي يطرحه كانظ على نفسه هو: هل النظام الجمهوري هو النظام الوحيد الذي يمكن أن يؤدي إلى إيجاد السلام الكوني (2)؟ إنه لما كان النظام الجمهوري هو وحده الذي يتطلب موافقة المواطنين إما مباشرة أو عن طريق ممثلهم على القيام بحرب ما، ولما كانت ولايات الحرب ونفقاتها وتخريباتها وما تجره من ديون يبقى عبؤها باهظا حتى أثناء السلام، فإن تقرير القيام بحرب ما لا يتم إلا بعد تقدير عميق وتفكير دقيق في كل النتائج المترتبة على الحرب خصوصا وأن المواطنين أنفسهم هم الذين سيقاتلون ويدفعون من أرزاقهم نفقاتها، وكل هذا يدعوهم إلى التفكير ألف مرة ومرة قبل الإقدام على خوض حرب ما، أما إذا كان أمر تقرير الحرب في يد شخص واحد هو الذي يملك السيادة بل ويعتبر الدولة كلها ملكا له، فإنه سيعتبر الحرب مجرد نزهة مثل نزهة (3) الصيد ولا يخشى منها على متعه وملذاته، ولهذا فإنه يخوضها لأسباب تافهة ويوكل إلى الهيئة الدبلوماسية أمر تقديم المبررات، وهي هيئة في خدمة الحاكم مستعدة لتقديم ما يشاء من مبررات تقتضيها قواعد اللياقة في المعاملات

(1) إيمانويل كانظ، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، مصدر سابق، ص 64.

(\*) إن تشريع السلام الكوني يقتضي الاحتكام إلى سلطان العقل، وإن تعيين هذا السلم هدفا إنسانيا نبيلًا يوجب -علاوة على ذلك- الإقرار بأخلاقيات التواصل بين الشعوب والدول حتى في حالة الحرب، حيث يفرض كانظ على الدول المتحاربة ما يسمى بأداب الحرب، وهو ما من شأنه أن يذكرنا بأداب الحرب عند المسلمين في بواكيرهم الأولى. المولدي عزديني، في راهنية العقل والأخلاق، موقعها في تشريع مطلب "السلم الأبدية" عند كانظ، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 128-129، 2004، ص 86.

(2) عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، ص 231.

(\*) لقد أجاب أحد الأمراء البلغارين إمبراطورا يونانيا كان هذا الأخير قد اقترح عليه الاقتراح الشهيم، أي المنازلة المفردة لإنهاء الخلاف بينهما دون سفك دماء الرعايا، فقال: "الحداد الذي لديه ملقط لا يستخرج من كوزه قطعة الحديد المحمّاة بيده". إيمانويل كانظ، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، مصدر سابق، ص 32.



ما بين الدول<sup>(1)</sup>.

إن إرادة البشر تقتضي العمل من أجل تحقيق سلام أبدي، ولكن هناك على مستوى الواقع ما يناقض ذلك، إذ أننا نجد صراعات وحروب واعتداءات، وهنا يقرّ كانط -على نحو ميتافيزيقي- على وجود خطة خفية في تقدم التاريخ نحو الأفضل توجّه الإرادة الإنسانية نحو سلام كوني بحيث يكون لزاما علينا طرح سؤال يتعلق بجوهر البحث عن السلام الدائم وهو: ما الضامن-بالإضافة إلى إرادة البشر- لقيام سلام كوني-أبدي؟ والجواب أفصحت عنه الطبيعة نفسها، الأمر الذي يجعلنا نتساءل مرة أخرى: ماذا تفعل الطبيعة في هذا الاتجاه لكي تقود الإنسان إلى الهدف الذي يفرضه عليه عقله بالذات كواجب، وبالتالي من أجل تعزيز نزعته الأخلاقية<sup>(2)</sup>؟ والحقيقة أن الطبيعة هيئت الناس للعيش في كل أجزاء الأرض وشتتهم بالحرب في كل الأقاليم حتى أكثرها استيحاءا ابتغاء عمارتها، ثم أرغمتهم بنفس الوسائل على عقد صلات متفاوتة في القانونية<sup>(3)</sup>، ذلك أن: "السلام ليس مجرد حسن الحوار بين حقين يتجنبان التصادم، إنما هو أكثر من ذلك تبادل في الأفكار والفوائد والبضائع لأن الناس يؤلفون جماعة"<sup>(4)</sup>. إن سلام الجنس البشري يكمن في تحقيق الكمال الأخلاقي الأقصى للإنسانية، ومصيره وسلامة هذا الجنس البشري يتوقفان على تحقيق الكمال الأسمى، وتلك هي الغاية العامة للجنس البشري، وتحققها يتحقق السلام بالضرورة<sup>(5)</sup>، إن العلاقة بين الدين الأخلاقي والسلام العالمي-في نظر كانط- هي علاقة تلازم، ذلك أن الدين يقوم على العقل، وحياء العقل هي حياة الإنسانية؛ أي فعل الخير والعدل والسلام والمحبة، وتحقيق السلام في تلازم ضروري مع الواجب الأخلاقي، لهذا يرى كانط-وهو محق تماما في هذا وليت العالم ينتبه إلى أهمية ما طرحه في هذا السبيل حتى يمكن تجنب ويلات

(1) عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، ص 232.

(2) إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم (محاولة فلسفية)، مصدر سابق، ص 64.

(3) عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، ص 188.

(4) Emmanuel Kant, pour la paix perpétuelle, op.cit. p 42.

(5) عبيد سعد، الدين والسلام عند كانط، مجلة أوراق فلسفية، عدد 11، 2004، ص 312.

الحروب الناجمة عن التعصب والتطرف والإرهاب- أن مشكلة السلام مشكلة أخلاقية، فالأمل في سلام كوني وأبدي يسود العالم ويستمر بصورة لا نهائية مرهون كله بالترية الأخلاقية من أجل تكوين العقل النقدي أي العقل الراشد المستنير-أليست بداية كل حرب جرت في الواقع سببها تهور واندفاعية- والتربية الهادفة إلى تنمية المواهب واحترام الشخصية وفقا للمبادئ الأخلاقية<sup>(1)</sup>، خاصة وأن المبادئ الأخلاقية ومعها القواعد على نحو ما رأينا في الفصل الأول تحمل صلاحية كونية، الشيء الذي يجعلها حينما ترتبط بالسلام تضي عليه الشرعية الكونية، أي يحمل هو الآخر بعدًا كونيًا على غرار الأخلاق<sup>(2)</sup>، وهكذا نجد كانط يطبق على الأفراد القاعدة الكونية للفعل الأخلاقي مرة أخرى في المجال السياسي من حيث سلام وأبدي.

## الخاتمة

إن فلسفة التاريخ عند كانط هي بمثابة رؤية كونية للمستقبل أكثر مما هي تفسير لحركية التاريخ، إنها خطوة أمامية تفاعلية لمستقبل البشرية، مع ضرورة ربط هذا المصير بالبعد الأخلاقي، ذلك أن القيم الأخلاقية وحدها الكفيلة وما تعلق منها بالقيم العالمية والإنسانية كمرجعية أساسية لرسم لوحة تاريخية فاضلة للجنس البشري تحمل تفاعلًا أكثر على غرار اللوحات التي رسمها فلاسفة الأنوار.

هكذا يستشرف كانط إمكانية غد أفضل وأرقى للحياة الإنسانية المقبلة، وذلك

(1) عبير سعد، الدين والسلام عند كانط، مرجع سابق، ص 311-312.

(2) عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، ص 191.

(\*) يقول كانط في تمييزه بين القانون السياسي والقانون الأخلاقي: "التشريع الأخلاقي لا يمكن أن يكون خارجيًا (حتى ولو أمكن أن تكون الواجبات خارجية) أما التشريع القانوني فهو الذي يمكن أن يكون خارجيًا. فالوفاء بالعهد المعطى في عقد هو واجب خارجي، لكن الأمر بفعل ذلك فقط لأنه واجب دون مراعاة لأي اعتبار آخر لا ينتسب إلا إلى تشريع باطني". عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، ص 06.

(4) المرجع نفسه، ص 247.

على أساس غائية التاريخ التي تصنعها هذه المرة إرادة البشر، وذلك على أساس التزام أخلاقي واستعمال عمومي للعقل وإرشاد فلسفي للسياسة، فالالتزام الشخصي الحر إلى كونه قيمة أخلاقية في ذاته ينمي -حسب كانط- حركة التقارب بين الشعوب ويحفز القوى الفعالة على التسابق نحو الأفضل، حيث يغدو مسار التاريخ مسارا كونيا إنسانيا بالدرجة الأولى، يرافقه صعود النزعة التفاؤلية- لا العدمية- وما تعلق منها بالسلام الدائم والعدل والحرية مما يؤلف أهم مكسب تحققه الإنسانية المتطورة.

إن فلسفة التاريخ عند كانط تتجاوز النظرة التشاؤمية لمسار التاريخ التي غدّتها الفلسفات الدينية باعتبارها تتحدث زمان يتعد عن الأصل وينحرف عن نموذج الكمال، فكانط يعمل على انتشال التاريخ -بما هو حيثيات للزمان- من تلك الماضوية التشاؤمية المرادفة للتدني والسقوط من أجل إعادة تشكيل رؤية جديدة للتاريخ والإنسان تؤمن بقيم التنوير كمحرك نحو عالم أفضل وأرقى وأسمى.

### قائمة الببليوغرافيا

#### بالعربية:

1. إيمانويل كانط، نحو السلام الدائم، محاولة فلسفية، ترجمة وتقديم، نبيل الخوري، دار صادر بيروت، ط1، 1985.
2. أم الزين بنشيخة، كانط في فضاء هايرماس أو كيف الكلام على السلم الدائم، أوراق فلسفية، عدد11، 2004.
3. غريغوار (فرانسوا)، المشكلات الميتافيزيقية الكبرى، ترجمة، نهاد رضا، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
4. حسن حنفي، الصراع بين الكليات الجامعية عند كانط، أوراق فلسفية، عدد11، 2004.
5. سالم يفوت، الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1991.
6. عبد الرحمن بدوي، فلسفة التاريخ عند كانط، أوراق فلسفية، عدد11، 2004.

7. بن مزيان بن شرقي، التاريخ وكونية الاختلاف، من أجل فلسفة أخرى للتاريخ من منظور كوني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003.
8. بنشيخة-المسكيني (أم الزين)، كانط راهنا أو الإنسان في حدود مجرد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2006.
9. منير الكشوش، التاريخ والتقدم عند كانط، أوراق فلسفية، عدد11، 2004.
10. أنري دوترني، فلسفة القانون الكانطية، مجلة أيس، عدد01، جوان 2005.
11. عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، مرجع سابق، فلسفة القانون والسياسة، وكالة المطبوعات، الكويت.
12. رودلف ماكريل، كانط ودلتاي وفكرة نقد الحكم التاريخي، ترجمة، أحمد عبد المجيد، أوراق فلسفية، عدد11، 2004.
13. عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
14. ميشال فوكو، كانط والثورة، أوراق فلسفية، عدد11، 2004.
15. المولدي عزديني، في راهنية العقل والأخلاق، موقعها في تشريع مطلب "السلم الأبدية" عند كانط، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 128-129، 2004.
16. عبير سعد، الدين والسلام عند كانط، مجلة أوراق فلسفية، عدد 11، 2004.

### بالفرنسية

1. Emmanuel Kant, Idée d'une histoire universelle, au point de vue cosmopolitique suivi de réponse à la question: « qu'est - ce que les lumières? » traduction, Jacqueline Laffitte, édition Nathan, Paris .1981.
2. Le conflit des facultés, traduit par, J. Gibelin, Librairie philosophique, J. Vrin, paris, 1988.
3. Leçons sur la théorie philosophique de la religion, traduction, William Fink, librairie générale Française, 1993.
4. Pour la paix perpétuelle, projet philosophique, traduction et traduction, Joël Lefebvre, presses Universitaires de Lyon, 2002.